ذب الأصاغر عن وجوه الأكابر

في مسألة تأويل المقام المحمود

أبو الفداء ابن مسعود

غفر الله له

الحمد لله وحده، أما بعد، فمن المعارك المفتعلة الباردة التي أحدثها الحدادية في الاعتقاد مع أهل السنة في عصرنا هذا، بجهلهم وحروريتهم، زعمهم أن من لم يصحح أثر مجاهد بن جبر رحمه الله في إقعاد النبي عليه السلام على العرش يوم القيامة فهو جهمي أو فيه تجهم! وقد سمعت ابن شمس يرد على الشيخ ربيع في مقطع جديد له عن الحدادية، إذ بين حفظه الله أن من علامات الحدادية تخطئتهم ابن تيمية في العقيدة والمنهج، وربما بدعوه وجهموه، وهذا حق واضح لائح لا يخفى على أحد، فالخليفي يعامل تقريرات ابن تيمية العقدية والمنهجية معاملة الرأي الذي قد يصيب وقد يخطئ، ولا ينقل عنه غالبا إلا في سياق إلزام مخالفيه بقبول بدعه وضلالته، يتأول كلامه على ما يوافقه، وابن شمس يهمل تراث ابن تيمية بالكلية ويصد تلامذته عنه، ويتعامل معه بتسطيح شديد كما رأينا من قريب، بدعوى أننا "لسنا متعبدين بكلامه"، وقد استظهرت من مواطن عنده أنه يرد على ابن تيمية كلامه في مسألة تسلسل الحوادث، وقد رددت قبل مدة على أناس منهم يزعمون أنه مخالف لإجماع السلف في هذه المسألة، ورددت من قبل ذلك على من صرحوا بتجهيمه وتكفيره! فالحدادية كما بينت، يدورون كلهم ما بين التقية في ابن تيمية وما بين التصريح بإسقاطه! ومع هذا رد ابن شمس على الشيخ ربيع في المقطع المذكور، محاولا إلزامه بأنه هو الحدادي على شرطه (والمقطع كله على هذه

الوتيرة!)، فقال: "من الذي يرد أقوال ابن تيمية رحمة الله عليه في العقيدة؟ في إثبات المقام المحمود لله سبحانه وتعالى؟؟"

قلت سبحان الله! هذا الأخرق من فرط اتجاره واحترافه الهذيان في مسألة الإثبات لله تعالى، إثبات كذا وإثبات كذا وإثبات كذا، نثبت لله تعالى كل شاردة وواردة نجدها في كتاب قديم، ونوالي ونبرأ على ذلك، زعم أن المقام المحمود ثابت لله تعالى، والشيخ ربيع ينفيه! فلا هو ثابت لله، على هذه العبارة التي ذكر، ولا الشيخ ربيع ينفيه! الرجل لابد أن يجعل خلافه مع مخالفيه راجعا في النهاية إلى صفات الله التي تصدّر هو فيها، حتى يستحكم سلطانه على عقول الجهلة الذين تابعوه، ولا يناقشوه فيه! فلان ينفي كذا وكذا عن الله؟؟ إذن هو جهمي محترق، وأغيلمة "الألتراس" الذين جمعهم من حوله إذن يستبيحون عرضه ودمه فورا، والله المستعان !

المقام المحمود ثابت للرسول عليه السلام بإجماع أهل السنة، وليس لله تعالى! قال تعالى ((وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)) [الإسراء : ٧٩]! فالذي يقام في المقام المحمود يوم القيامة إنما هو محمد صلى الله عليه وسلم، والذي يقيمه هو الله تعالى، وليس أننا نثبت ذلك المقام لله!! ولا عبرة بأن يتنطع ويسفسط على طريقته فيقول، مثلا، أنا أقصد

إثبات أن الله يقيم النبي ذلك المقام، فهو من يقيم الرسول فيه، وإذن فهو فعله، فنثبته له، فإنه لأجل أن يتوجه كلامه إلى هذه الوجهة، كان يلزم أن يقول: ينفي إقامة النبي عليه السلام المقام المحمود عن الله تعالى، وليس ينفي المقام المحمود عن الله تعالى! ثم حتى لو قالها على هذا النحو، فأين رد الشيخ ربيع ذلك الفعل أو نفاه عن الله تعالى؟ نعوذ بالله من الجهل والكذب! هؤلاء قد انطبع أكثرهم على أصل فاسد مفاده أن من خالف ما يرونه إجماع السلف في تأويل آية ما، فهو يرد كلام الله! لا يكون مخطئا أو مبتدعا ضالا، لا بل يكون زنديقا رادا على الله! فالذي يتأول الاستواء، مثلا، هذا عندهم يرد جميع آيات الاستواء ويكذب القرآن! والذي يتكلم بما لازمه خلق القرآن، هذا قائل بخلق القرآن فعلا ولا فرق بينه وبين الجهمية الغلاة الذين كفرهم السلف! هكذا! هذه طريقتهم! ما فيه شيء اسمه التفريق بين القول ولازم القول! أخرجوا لهم هذا التفريق منصوصا عليه صراحة، بهذه العبارة التي حررناها الآن، في أثر مسند من كتاب من كتب السلف التي يدينون لله تعالى بقبولها كما يقبلون القرآن، وإلا لم يقبلوا منكم!

فهو في الحقيقة يقصد إثبات إقعاد الله تعالى للرسول على العرش، كما في أثر مجاهد المشهور، وأن هذا من تأويل المقام المحمود، فمن نفاه فقد نفى أصل

الفعل الإلهي نفسه، فعل إقامة النبي عليه السلام في المقام المحمود يوم القيامة! وهذا عدوان وجهل مبين على من لا يحصيهم من علماء أهل السنة! وقد بينا أن من أصول القوم أن من ينفي صفة واحدة لله تعالى، فهو "لا يعرف ربه"! والذي لا يعرف ربه يعبد غيره، فيموت مشركا!! مع أن المشركين الذين عبدوا الأصنام من دون الله تعالى، شهد لهم الرب في القرآن بأنهم يعرفون ربهم جملة، بل وبأنهم يعبدونه ويشركون به خلقه، مع أنهم كانوا أجهل به وبحقه قطعا من الذين تأولوا بعض صفاته من أهل القبلة، ممن شهدت لهم الأمة بالفضل والبذل في خدمة الدين! قال تعالى ((وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ)) [الأنعام : ١٠٠]، فهم يعرفون ربهم، ويكذبون عليه، يثبتون له ما لم يثبته لنفسه، فلا يخرجهم ذلك عن أصل المعرفة بالله! لكن كثير منهم من جهلهم وأجنبيتهم عن العلم، يظنون أن المسلم إن مات وهو مفرّط في إثبات صفة من صفات الله تعالى، فلن يعرف ربه يوم القيامة!! وكأنه يعتقد أن المؤمنين إذا رأوا ربهم يوم القيامة، فستكون رؤية إدراك وإحاطة بذاته العلية، يرون كل صفة من صفاته الذاتية محاطا بها في دركهم، مستغرقة في معرفتهم، فبذلك فيعرفونه كما يعرفون الرجل من بني آدم إذا رأوه، يميزونه عما يتمثل لهم به قبل ذلك امتحانا!! وهذا من جهل بعضهم وسوء فهمهم لحديث "إن الله يتراءى لعباده المؤمنين يوم القيامة على

غير صورته" الحديث، إذ ظنوا أنه يُفهم منه أن المؤمنين سينظرون إليه يومئذ، نظر إحاطة واستغراق، فإن رأوا صفة من الصفات الذاتية لم يثبتوها أو كانوا غالطين فيها، لم يعرفوه، واشتبه عليهم، وإذن انقلبوا مع الكفار! وأنا لا أدري من أين جاؤوا بهذا الفهم السقيم، ومن إمامهم فيه! والله لو سمعهم الدارمي رحمه الله يقررونه أو يتكلمون بما يقتضيه لضربهم على رؤوسهم، كما ضرب على رأس المريسي !

الذين يأتون في آخر الزمان ممن هم من أهل القبلة، ولم يسمعوا قرآنا ولا سنة، ولا عرفوا صفة واحدة من صفات الذات، وإنما ورثوا كلمة التوحيد فتمسكوا بها وماتوا عليها، وثبت في السنة أنها تنجيهم من النار، هؤلاء كيف يعرفون ربهم يومئذ إذا رأوه؟؟ والذي يموت في زماننا هذا من العامة الذين لا يعلمون من الصفات إلا تلك الصفات المعلومة للعوام بالضرورة، ولم يقفوا على كتب السلف ولا سمعوا شيئا من الأثر، ولم يجدوا من يبين لهم إثبات اليدين أو الساق أو الأعين لله تعالى من القرآن، فغلطوا في فهم شيء من ذلك ولم يثبتوا منه صفة ذاتية كما عليه أهل السنة، هؤلاء كيف يعرفون ربهم يومئذ؟؟ الله تبارك وتعالى قد ركّب في فطرة المؤمنين في ميثاق الذر ما يعرفونه به إذا رأوه سبحانه في الآخرة، كما يعرفون به الحق الذي جاء به الرسول إذا سمعوه، فيعلمون أنه

يدعوا إلى الرب حقا لا إلى غيره! فبهذا يجدون نفوسهم مقرة بذلك الذي يرونه غير مستنكرة، كما أنه يمثل لهم في نفوسهم قبل ذلك صورة بخلاف صورته، فيجدون في نفوسهم ما ينفرهم منها، كما قرر معناه الإمام الدارمي رحمه الله إجمالا في سياق رده على المريسي. وأما الكافر والمشرك فإنه يُفسد على نفسه تلك المعرفة الجبلية بفساد اعتقاده، فلا يعرف ربه !

أما أن يكون المراد أنهم يومئذ يقارنون ما يرونه بالتفصيل الذي جمعه غلاة الإثبات هؤلاء من أهل القبلة، فإن لم يروا صفة ذاتية واحدة من تلك الصفات التي حفظوها، لم يعرفوا ربهم، وإذن يهلكون، فهذا جهل مبين، ولن يجدوا قائلا به من أئمة المسلمين ولو وقفوا على رؤوسهم! وهو أمر أدق من أن يفهمه أكثرهم أو ينتبهوا إليه، والله المستعان! وأكاد أجزم بأن منهم من سيأخذ هذا الكلام ويقول: علامة جديدة على جهمية أبي الفداء! ولكن لا أبالي ولا ألتفت، فقد تجلى جهلهم وحمقهم وأجنبيتهم عن علوم المسلمين لكل ذي عينين، والله المستعان !

فنعم الشيخ ربيع يرد أثر مجاهد ولا يصححه! ولكنه حتى مع هذا فلا يكون مخالفا لابن تيمية في العقيدة، رادا عليه! فإن مسألة إقعاد النبي عليه السلام على عرش الرحمن، وإن كانت لا تتعارض مع ما في الصحيحين من تأويل

المقام المحمود بالشفاعة العظمى، وإن كان عامة السلف قد تلقوها بالقبول، وجهموا من ينكرها بدعوى أنها تقتضي التجسيم وهذه الأمور، إلا أنه لا يجوز الإنكار على من لم يصححها أو توقف في تصحيحها من أهل السنة. والذي يدعي أن من يضعفها ولا يقول بها في تأويل الآية، يكون متجهما بهذا أو موافقا للجهمية بالضرورة، أيا ما كان سبب إنكاره لها، هذا مطالب بأن يأتي بإمام من أهل السنة عبر القرون أو من السلف يقول بذلك! أين ثبت التصريح من الأئمة الأولين بالإجماع على أن من لم يقل بصحة أثر مجاهد وبإثبات الإقعاد في معنى المقام المحمود، لكونه مرسلا منقطعا، أو أنكره لعلة حديثية في سنده، فإنه يكون جهميا أو متجهما؟؟ المشكلة يا إخوان أن هؤلاء لا يفهمون ما يقرؤون! وهذه مصيبتهم! وأنى لهم أن يفهموا وقد اتخذوا تراث العلماء والأئمة في العقيدة ظهريا، وتجاوزوهم بالكلية؟! من أين يأتي الفهم إذن؟؟ من الرؤى المنامية ومن "حدثتني نفسي عن ربي" مثلا؟؟

غاية ما ورد أن بعض الأئمة قالوا لم نر أحدا من السلف يستنكر هذا الأثر أو يرده كما ردته الجهمية! فإن صحت الآثار بهذا المعنى، فلا تكون إجماعا على تجهيم كل من لا يحتج بذلك الأثر من جهة الرواية! وإنما يكون تجهيما لمن ينكره من جهة الدراية، بدعوى أنه يقتضي التشبيه والتجسيم !

قال شيخ الإسلام رحمه الله في درء التعارض: " وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه في إبطال التأويل رداً لكتاب ابن فورك، وهو وإن كان أسند الأحاديث التي ذكرها وذكر من رواها، ففيها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عياناً ليلة المعراج ونحوه. وفيها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة، كحديث قعود الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف، وكان السلف والأئمة يروونه ولا ينكرونه، ويتلقونه بالقبول".

قلت تأمل قوله رحمه الله: "يروونه ولا ينكرونه"، أي لا يرون نكارة في متنه، تستوجب رده وترك التحديث به. بل كانوا يبدّعون من يرده من جهة المتن. فهذا معنى التلقي بالقبول هنا، لا أنهم كانوا بالضرورة مجمعين على تصحيحه والاحتجاج به في معنى المقام المحمود (وإن كان الاحتجاج به هو الأظهر والأرجح كما سيأتي)! وهذا من دقيق نظر الإمام رحمه الله. فإنه لو كان هذا هو مفهوم الإجماع هنا والتلقي بالقبول، لرأينا الإنكار على من يضعفه ولا يثبته في معنى الآية، جاريا عبر القرون عند أهل الحديث والأثر! فإن مخالفة إجماع السلف في مسائل الاعتقاد والتأويل ضلال، وأهل الحديث لا يسكتون على الضلال إذا رأوه، لا سيما إن أظهره رأس من رؤوسهم أو معظم من معظميهم.

فمن أحدث النكير والتبديع في مسألة لم ينكر فيها أحد من أهل الحديث قبله، مع قيام الداعي إليه، فقد أحدث في الدين ما ليس منه. تأمل إذ يقول ابن شمس في مقال له على صفحته في هذا الشأن، معلقا على أثر مجاهد: " لا ينازع في ضعفه، ولهذا ترك من ترك من المعاصرون هذا الأثر، وقد غلطوا لكونهم ما تابعوا السلف والخلف في قبوله، ولهذا سأجمع لمن أراد الاتِّباع قول أهل العلم فيه !".

قلت: تأمل الجهل والعدوان، الذي قلد عليه شيخه الخليفي! غلط "المعاصرون" (هكذا (إذ تركوا الأثر لهذا السبب، ولم يحتجوا به، لأنهم ما تابعوا السلف! ليس السلف وحسب من غلطوا بأن لم يتابعوهم، بل ولا تابعوا الخلف كذلك!! فهم إذن خرجوا من سوق العلم بالكلية، وتركوا العلم لفضيلته هو وصاحبه وثالثهما آل حمدان! فالوصف الجامع للمخالفين للسلف في كلامه هو المعاصرة كما ترى! "المعاصرون"! فأي وصف يليق بك أنت إذن يا إمام زمانك إن لم تكن من "المعاصرين"؟؟ أم تراك من المتقدمين في عين نفسك مثلا؟؟ فإن كان المعاصرون كلهم قد غلطوا وفسد تصورهم لهذه المسألة، فكيف انضبط عندك أنت، وعمن أخذته؟؟ عن الخليفي؟ هذا على أساس أن الخليفي أخذ العلم مباشرة عن الإمام الخلال مثلا؟؟ يا سفهاء، أنتم تقطعون الصلة بينكم وبين

السلف بهذا الغباء الذي تقررونه، فافهموا قاتلكم الله! فإننا ما ورثنا عن السلف جملة من الآثار المسندة، نجدها في القراطيس والصحائف، عارية عن آلة الفهم والضبط والتعامل مع الأسانيد والعلل، وعن الدراية بطريقة كل إمام في تصنيف كتبه، وغاياته منها! تراث السلف ليس هو تلك الآثار وحدها، تعامل معاملة النص المعصوم، ويحتج بمجرد ورودها في كتاب للسنة أو للاعتقاد، ثم يقال في تجاسر لا يدل إلا على كبر مخلوط بجهل مركب: قد غلط المعاصرون في رد ما يفهم أحدنا، بناء عليها، أن السلف قد أجمعوا عليه !!

الطريف أن ابن شمس يقول عقب هذا الموضع مباشرة: "إلا أنه لا يجوز تجهيم من رده لضعف السند ومساواته بمن رده إنكارا للمتن!" قلت: سبحان الله! ففي أي شيء كان إجماع السلف الذي تعلقت به وزعمت أن المعاصرين جميعا قد خالفوه، إن لم يكن في تجهيم من رده إنكارا للمتن؟؟ أنت من قررت أن إجماعهم كان على الاحتجاج به في تأويل الآية، فلما رأيت أكثر المعاصرين لا يحتجون به، رميتهم جميعا، عن قوس واحدة، بمخالفة السلف !!

أليس المتصور والمتوقع عند من يفهم كيف نُقلت إلينا مذاهب السلف في هذا العصر، وكيف عرفنا ما يؤخذ وما يترك مما يروى عنهم، وما يُحتج به في العقائد وما لا يحتج به، أليس المتصور أن يتصل إجماعهم الصارم بإجماع طلبتهم من

بعدهم، ومن تتلمذوا على تلامذتاهم، إجمالا، وصولا إلى عصرنا هذا؟؟ أليس من المتصور أن يكون المتلقى بالقبول عندهم، مطابقا للمتلقى بالبقول عند تلامذتهم، ومن تبعهم بإحسان من بعدهم، بحيث أن من شذ عنه أنكروا عليه؟؟ بلى! فسبيل المؤمنين المعاصرين هي دليل كل معاصر إلى معرفة ميراث السلف، وما يثبت فيه إجماعهم وما لا يثبت! يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله! فلو كان إجلاس النبي على العرش بمنزلة إثبات العلو الذاتي فوق العرش في عقائد المسلمين، لامتنع أن يختلف عليه المتأخرون والمعاصرون من أكابر ورثة السلف حتى يظن بعضهم أنه قد هُجر ولا قائل به، ويحكي الإجماع على ذلك! وإذن لكان ثبوته بنصوص في الكتاب والسنة في منزلة نصوص العلو! لكن هؤلاء يقدمون أنفسهم وأفهامهم لكلام السلف على كل من جاء بعدهم من ورثة علومهم، ولا يبالون! أهون شيء عليهم أن يسقطوا أهل الفضل ممن أجمعت الأمة على فضلهم، حتى لا يبقى في الأرض من يؤخذ منه العلم غيرهم !

يقول الرجل في سياق مقاله هذا معلقا على بعض رواة الأثر: "ضعف الليث، فالضعيف ليس كل كلامه غلط،" قلت: ممتاز! إذن ينظر المتخصصون في كلام الأئمة النقدة في روايته عن فلان أو فلان بخصوصه، وعن قرائن هذه الرواية

أو تلك بخصوصها، ليعرفوا هل يؤثر ضعفه فيها أم لا، أليس كذلك؟ اسمع إذن ماذا قال "الإمام الناقد" محمد بن شمس الدين!! قال: "فلو قال رجل منا هذا التفسير لتلميذ له ضعيف الحفظ، فهل يحتاج إلى جهد ليحفظه، بل هي معلومة سهلة يسيرة، يسير استقرارها في الذهن، وهي عن شيخه المباشر، ليس فيها إسناد يخطئ فيه، ولا طول متن وتفصيل، فهذا مما يحفظه البليد. أضف لهذا أن ليثًا صاحب سنة كما قال الدارقطني، فليس مبتدعا يتهاون بنقل مثل هذه الأمور." قلت: الله أكبر! على هذه الطريقة، يصبح من قواعد الرد والقبول في علم الحديث أنه مهما حُكم بالضعف على رجل من رواة الحديث، فإنه تقبل روايته عن شيخه المباشر، إذا كانت قصيرة لا تفصيل فيها، لأن مثل هذا لا يعجز البليد عن حفظه، وليس فيه سند طويل قد يختلط عليه، لأنه ليس بينه وبين شيخه أحد!! هذا على أساس أن شيخه هذا هو النبي عليه السلام، فلا يكون السند طويلا فيما يحفظ عن شيخه؟؟ هل هذا تقعيد يقول به عاقل فضلا عن عالم؟؟ وهل ينتبه هذا السفيه إلى ما يترتب عليه من إفساد في الحديث؟؟ يا هؤلاء أنتم جهال ورب الكعبة، دخلاء على جميع العلوم، فاتقوا الله ولا تقولوا عليه بغير علم، فإن هذا من أعظم الآثام!! بل جعله الله قرين الإشراك به، قال تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ

الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) [الأعراف : ٣٣]

نشر الخليفي في ٢٠١٥ كتابا كاملا سماه "بتقويم المعاصرين"، كله مداره على تلك الطريقة البدعية الصبيانية في التعامل مع كتب السلف، المهدرة لتراث الأمة في ذلك! وحسبك بعنوانه دليلا صارخا على فساد مضمونه! شاب صغير في أواخر العشرينات من عمره، يبلغ به الكبر والاغترار بالرأي والزهو بالنفس، أن يصنف كتابا يجعل عنوانه "تقويم المعاصرين"، هكذا، يقصد علماء أهل السنة المنتسبين إلى السلف الصالح في هذا العصر، فخبرني بربك أي خير يرجى من شاب كهذا، وأي علم يؤخذ عنه؟؟ وما الفارق بين كتاب كهذا، والكتاب القبيح الذي نشره اثنان من متفلسفة السلفية من قريب وجعلا عنوانه "ما بعد السلفية"، أقعدا فيه نفسيهما حكمين على جميع علماء العصر، بل وعلى السابقين من أئمة أهل السنة وصولا إلى الإمام أحمد رحمه الله؟؟ أن هذا المسكين لا يجرؤ على نقد أحمد، بينما هما قد اجترءا وتجاسرا على ذلك؟؟ أنت مريض يا رجل! ورب الكعبة أنت مريض!! ومن يأتمنك على دينه ما بين أن يكون جاهلا بحالك أو صاحب مرض كمرضك! نسأل الله العافية للمسلمين !

عندما تنشر كتابا ينتهي منه قراؤه إلى أن كل من زعم تدريس العقيدة والمنهج السلفي في هذا العصر فهو جاهل لا يدري ما الذي أجمع عليه السلف، ولا ينضبط بهم مشربهم على ما يسلمون به من تجهيم السلف، وأنت من جاء أخيرا "ليقومهم جميعا" في ذلك، فبأي علم نهضت أنت نفسك بهذا الزعم الفاحش وعلى أي شيء أسسته، وعمن أخذته؟ هذا هو السؤال يا إخوة الذي لا يحير له أولئك السفهاء جوابا! هذا علم باطن حدثتك به نفسك عن ربك مثلا؟؟ شيء رأيته فيما يرى النائم؟؟ إلهام رباني؟؟ من الذي ضحك عليك وأوهمك بأن هذا هو الفهم الصحيح والتوجيه الصحيح لتلك الكتب، وأن طالب العلم في هذا العصر إذا أراد أن يحقق منهج السلف، فأول ما يبدأ به، أن يهجم على الكتب الأثرية المسندة، مستقلا برأسه في الفهم والقبول والرد، لينظر ما الذي أجمعوا عليه وما الذي تلقوه بالقبول؟؟ أليس لتلامذة السلف طريقة في تلقي العلم يجب عليك أنت يا دعي السلفية أن تلتزمها أولا كما أنهم هم التزموها، وأن تصبر على طلبها حتى تشيب لحيتك في ذلك كما شابت بالعلماء عبر القرون، حتى تتأهل للبحث في تلك الكتب كما أنهم يبحثون؟؟ أي كبر هذا الذي يجرّئ رجلا مهما علا كعبه في العلم، على أن يسقط العلماء كافة حتى لا يبقى في الأرض من يعلم مذهب السلف في تفصيل الاعتقاد ودقائقه كما حقه

أن يعرف إلا هو، ولا يبقى رجل يُنسب إلى العلم إلا وهو من "يقومه" ويعدل اعوجاجه؟

تأمل إذ يقول في صدر "تقويمه" هذا: "وأنصح القاريء ألا يحمله استصغاره لقدر الكاتب في نفسه على إهمال الفائدة فهذه خلاصات أخذت مني سنين عدداً وإنما أنقل لك كلام الأئمة والعلماء ومن وافقهم"! قلت ما أجرأك على العلم وكلام الأئمة، وما أشبه طريقتك بطريقة أعداء الملة!! مثل هذا الكلام نسمعه من أمثال علي منصور الكيالي وأمين صبري وإسلام بحيري ومن شاكلهم، فهم كذلك يقدمون خلاصة "سنوات طويلة" من البحث، يطالبون الناس بقبولها منهم، مهما خالفوا بها جميع الأكابر من أهل العلم في عصرهم، على طريقة: وإني وإن كنت الأخير زمانه، لآت بما لم تستطعه الأوائل!! كذبت والله في قولك "إنما أنقل كلام الأئمة والعلماء ومن وافقهم" وإنما تنقل من كلام الأئمة والعلماء ما يوافق عقلك أنت، ويبدو لك أنه ينصر رأيك أنت! يا رجل أنت لم تبال بأن تعرض كلامك على أحد من أهل البتة ليراجعك فيه إذا أخطأت ويقوم غلطك!! فلماذا نقبل منك أن تنصب نفسك حكما على جميع المعاصرين من أهل العلم الكبار، تقومهم تقويما وتصلح أخطاءهم، وأنت لا تتكلف حتى أن تعرض عملك هذا على أحد من أهل العلم يراجعك

فيه قبل أن تنشره؟؟ يا أتباع هذا الرجل، يا من فتنتم بأسلوبه وطريقته في الكتابة والكلام، وبتمسكه بالأثر وكذا، هل هذا مسلك طالب علم سالم من الكبر والاغترار بالرأي والاستعلاء على أكابر العلماء؟؟ أسألكم بالله الذي لا إله إلا هو أن تتبدروا في هذا المعنى فإنه خطير! لماذا نستجيز قراءة كلامك هذا أصلا، ونحن نراك، من عنوان الكتاب وحده (تقويم المعاصرين!!) ترفع نفسك فوق جميع أهل العلم الكبار، مستندا إلى سنوات أقفلت على نفسك فيها باب غرفتك، وغرقت في الكتب بلا موجه ولا ناصح ولا شيخ يراجعك؟؟ ألأنك تسند كل رأي تراه إلى آثار تنتزعها من كتب الأولين؟؟ ألا يرد على منهجك أن تكون أنت الغالط المخطئ في الاستدلال والنظر وطريقة الاحتجاج، وفيما به صححت ما صححت واحتججت بما احتججت به؟؟ لا يرد هذا أبدا؟؟

والله تشعر وكأنك تقرأ كلام باحث متحمس في الفيزياء مثلا، وضع نظرية جديدة يخالف بها ما عليه العلماء في عصره، فيطلب من الناس حين يقرؤوا كلامه ألا يستصغروه ولا يردوا كلامه بحجة أنه صغير وليس من المعروفين بالعلم المشهورين به، وأن يتذكروا كيف أن أينشتاين لما قلب الفيزياء على رأس أهلها، كان في العشرينات من عمره! فهذا المسكين يا جماعة الخير يحتاج إلى من يصدمه صدمة إفاقة، ويبين له أنه في العلم الغلط! تريد أن تخترع اختراعا

ثوريا تقلب به إجماع العلماء في عصرك، وتعلو به عليهم، وتصيرهم به تبعا لك، تلامذة عندك، فاذهب ادرس الفيزياء أو الكيمياء! ومع هذا، فعلى معدنك الفاسد ونفسك المريضة، وحبك للشهرة واستعجالك التصدر، فغالبا لو فعلت ذلك، فستكون من جملة أصحاب الآراء الفطيرة والنظريات المتعجلة التي يصنف الفيزيائيون أصحابها في عداد ال !Crackpot theorists

لماذا قلت إن هذا لا يصلح إلا أن يكون طموح باحث صغير في العلوم الدنيوية النظرية؟ لأن هذا هو نوع العلوم التي يمكن عقلا أن يتوصل فيها الباحث العبقري الألمعي صغير السن إلى نظرية جديدة يقلب بها ما استقر عليه سلفه رأسا على عقب، ويلقى نظره ورأيه هذا قبولا عاما تتحول إليه الأكاديمية كلها فيما يقال له الثورة العلمية. أما علوم الشريعة، فليس فيها ثورات! ولا يجوز للطالب فيها أن يتطلع إلى مثل ذلك أبدا، ولا أن يقول قد أغلقت على نفسي وبحثت وقرأت لسنوات، فانتهيت إلى اكتشاف أن جميع علماء العصر من المنتسبين إلى السلف قد قصروا عن معرفة اعتقاد السلف الصحيح كما حقه أن يعرف، وأن "المعاصرين" (هكذا)، يحتاجون إلى التقويم، وقد جئتهم به، وأطالبهم بقبوله، وألا يستصغروني فيردوا كلامي!! يا رجل أنت تتهم نفسك وتسقطها بمجرد ذلك، تقطع صلتك بالعلم وأهله البتة! فالمسألة ليست أنك

صغير في السن مقارنة بمن تغلطهم! فالأمة قد عرفت في تاريخها من لقّب بالعلامة والإمام وهو في مثل سنك أو قريب! القضية قضية منهج أنت شاذ عن أصحابه من مبدأ الطرح! من عنوان الكتاب! علماء أهل السنة لم ينتهوا إلى هذا الذي هم عليه في هذا العصر، وترى أنت ضرورة تقويمه، بسبب أنهم قصروا عن دراسة كتب الاعتقاد المسندة، فغاب عنهم ما اكتشفته أنت! وإنما هم على ما ورثوه عن مشايخهم، وورثه مشايخهم عمن قبلهم، في أصول الدين وأصول السنة، لا يحدثون فيها شيئا ولا يخترعون! ومن أحدث فيها ما لا سلف به ولا إمام، وتلبس بقول قد ورث أهل الحديث في عصره أنه خلاف ما كان عليه السلف، فإنه بفضل الله تعالى يُرد عليه ويترك قوله ذاك ولا يتابع عليه، مهما علا كعبه وعظم شأنه! وهذا ماض مطرد عبر جميع العصور وفي جميع القرون، وصولا إلى قرننا هذا! من شذ عن ميراث السلف تُرك شذوذه ونبه عليه، وقد يترك هو نفسه بالكلية إن تغيرت حاله وظهر عليه الهوى والعجب وتشبع بأصول بدعية ينافح عنها ولا يزول ولا يرجع مهما ناصحه الأقران! فلم تزل مفرزة السنة والنظر في أحوال الرجال المتصدرين لتعليم الشريعة موروثة ماضية معمولا بها عبر القرون، يسلمها كل جيل إلى الذي يليه! فهذه سبيل المؤمنين، الذين يخافون رب العالمين، ولا يحرصون على شيء في ظاهر أمرهم وباطنه كحرصهم على تقفي الأثر وتحري ما كان عليه السلف! فلو كانت هذه الأمور

التي تستنكرها أنت على كبارهم في هذا العصر، خروجا عن إجماع السلف كما تدعي، ووقوعا فيما عدوه تجهما، للزم أن تجد في أقرانهم من الكبار أيضا من ينكرها عليهم ويردها عليهم، ردا يليق بمنزلتهم في العلم والسنة، أو أن تجد منهم من يقرك ويقبل منك نقدك لهم بها ولا يبالي بصغر سنك أو عدم ذيوع أمرك، فإنك لست بأغير على السنة وميراث السلف منهم جميعا! هؤلاء علماء أهل الحديث والأثر في هذا العصر، الذين "تقومهم" هؤلاء، وليسوا علماء بني إسرائيل، أو مشايخ الحزبية المتسلفة الذين لا ينكر بعضهم على بعض في قضايا الاعتقاد والقضايا المنهجية الكبرى إلا تحت ضغط المحبين والموالين إذا ضغطوا! هؤلاء من تربيت أنت في أول أمرك على أنهم علماء أهل السنة، الذين يؤخذ منهم لا من غيرهم اعتقاد أهل السنة وطريقة السلف !

فمن أي فصيل من العلماء أخذت أنت اعتقاد السلف إذن ومن الذي دلك عليه؟؟ وبأي شيء تجاوزتهم جميعا إلى كتب السلف؟ هل تزعم أنك جئتنا من القرن الثالث الهجري مباشرة، فعلينا أن نسلم بأنه ليس على وجه البسيطة الآن أحد أعلم بكتب الأثر والعقيدة المسندة منك، وإن أردنا "تقويم" علماء العصر فعلينا إذن أن نعرض كلامهم عليك؟؟؟ هذه يا عقلاء المسلمين هي الآفة المنهجية الكبرى التي توجب على كل طالب للعلم أن يترك هذه العصابة

وجميع ما كتبوا وما نشروا وأن يحذر المسلمين من بضاعتهم، ما أصابوا فيها وما أخطأوا! فإن طالب العلم المبتدئ قد تخفى عليه أغاليط هؤلاء في بعض ما يقررون، ويتأثر ببدعهم المنهجية وتقعيداتهم المحدثة من حيث لا يشعر، فليس له أن يقول آخذ منهم ما صفا وأترك ما كدر !

تأمل ماذا كتب فريد دهره، ووحيد عصره، "أينشتاين" علوم الشريعة هذا (في عين نفسه)، في هذا المقال في صدر "تحقيقه" في المسألة! قال: "فهذا الأثر أنكره من المعاصرين الألباني ومحمد أمان الجامي وسليمان العلوان وسعود العثمان وربيع المدخلي وعبد الرحمن دمشقية ومحمد علي فركوس وغيرهم. وكلام السلف لا يختلف في تثبيت هذا الأثر وعد من ينكره جهمياً وبعض من ينكره من المعاصرين لا يدفع متنه ولكن يظنه معارضاً لحديث الشفاعة، غير أن منهم يستقبح متنه ويطلق فيه عبارات شديدة تشبه عبارات الجهمية بل بعضها تطابقها وهذا أمر شديد في الحقيقة"

قلت: قاتل الله الخارجية الحارقة التي تغلي في صدوركم يا هؤلاء! "كلام السلف لا يختلف في تثبيت هذا الأثر وعد من ينكره جهميا!" ابن شمس، على جهله وخفة عقله، لم يبلغ من الجرأة والجسارة على تجهيم المعاصرين ما بلغه هذا الرجل! فقد فرق في الأسماء والأحكام، كما مر، بين من أنكر الأثر لأنه لا

يثبت عنده، ومن أنكره لأنه يستشنع متنه! وأما هذا الأرعن المتعالم المنتفخ، ففوق أنه يعامل المعاصرين هؤلاء معاملة الفئة الضالة الزائغة كلها، الجاهلة بتراث السلف، كصاحبه ابن شمس، فإنه يطلق فيقول إن بعضهم يستقبح المتن ويطلق فيه عبارات شديدة تشبه عبارات الجهمية، بل بعضها تطابقها! الله أكبر! طيب من يا علامة زمانك، الذي وقع في ذلك من هؤلاء الذين سميتهم، حتى نبدعه باسمه ونحذر المسلمين منه بعينه؟؟ لا يهم! كلهم لا يؤخذ عنهم الاعتقاد عنده ولا يزنون شيئا!! ألم يسم كتابه "تقويم المعاصرين"؟؟ فإذا سأله الناس عمن نأخذ العلم إذن؟ أجابهم بتجاوز المعاصرين جملة، و"تعلية السند" بزعمه، والأخذ من كتب الأولين! وهنا يظهر السؤال: نحن مبتدئون، فعلى من نقرأ تلك الكتب ومن الذي يشرحها لنا؟ فهنا يقول: تعالوا لي أنا أبينها لكم، وأتحفكم بالأدلة السلفية الأثرية المسندة على كل ما أقول! وإذن فالخلاصة أنه يضطر المسلمين جميعا إلى تقليده، هو ومن يرتضي كلامه من المعاصرين إن ارتضى منهم أحدا! فهل فهمتم لماذا يجعلونه على رأس من يؤخذ عنهم العلم في هذا الزمان؟؟ لأنه هو المعيار في معرفة علم السلف! وهو شارح علم السلف، المتبحر الموسوعي في ذلك! وهو "مقوم المعاصرين"، الدال على أغلاطهم جميعا، الذي يرجى في كلامه السلامة من جهلهم وتخليطهم وجهميتهم التي لا يشعرون بها !

نعم من ظنه معارضا لحديث الشفاعة فقد أخطأ، فإنه ليس بمعارض له، ولا فيه ما يقتضي المعارضة، بل فيه زيادة تفصيل، فإما أن يصح الأثر فيجمع ذلك التفصيل الإضافي إلى ما في حديث الشفاعة، أو يضعف فلا يقال بها. أما أن يقابل بما في الصحيحين في تبيين المقام المحمود المذكور في القرآن، فيعقد الترجيح بينهما، فهذا غلط ممن ذهب إليه، ولا وجه له. وقد رأيته يغلب على السرورية عند كلامهم في هذه المسألة، وليس على أهل السنة. فالرجل كما ترى يجمع في كتابه هذا كل من ينسبون إلى "السلفية" في سلة واحدة، يسميها بالمعاصرين، وهذا في مجرده جهل وظلم مبين! فنحن لا شأن لنا بما يراه أمثال سليمان العلوان ودمشقية ومن شاكلهما، حتى يعد كلامهم في المسألة من كلام "المعاصرين" من أهل السنة! لكن هو لما اغتر بعقله ورأى أنه قد صار ندا لمن تتلمذ عليهم من العلماء في مستهل الطلب، بل مجاوزا لهم في العلم بالآثار، لم يعد يبالي بجراحات العلماء لمن جرحوهم، ولا بكلامهم في معاصريهم من المنتسبين إلى العلم! فصار يقدم من يقدم ويؤخر من يؤخر برأيه وهواه، لا بكلام أهل العلم. وها قد رأيناه يقرب المتفلسفة ويتودد إليهم، كيوسف سمرين، وهو القائل بقدم مادة العالم، وعنده ما عنده من المصائب في الاعتقاد، ثم لما يضربه الرجل على رأسه بكتاب في بيان تناقضاته، يظهر حينئذ الطعن عليه، وحينئذ فقط!! فالرجل قد جعل رأسه هي الميزان المتفرد

للحكم على الناس! فمن وافقه كان أثريا، وإلا فهو جهمي أو فيه تجهم أو على أحس الأحوال "تقليد للمعاصرين !"

وهذا يا إخوة من أسباب تسلطه العجيب على أتباعه، وكأنه قد سحر لهم سحرا! وكذلك تراه في أتباع شمس الدين! فإنني لم أر منسوبا إلى العلم، يشتم طلبته ويهينهم في مراسلاته الخاصة إليهم، كما بلغني عمن أثق في خبرهم، أن الخليفي يفعله بطلبته! الرجل يفعل بهم الأفاعيل، وهم مع هذا لا يجرؤون على الطعن عليه! وبعضهم يخالفونه ويجادلونه في مسائل عظيمة في الاعتقاد والمنهج، ومع هذا لا يجرؤون! لماذا؟ لأنهم فعلا قد تشبعوا باعتقاد أنه ليس في العالم من هو أعلم منه بكتب الأثر! فهو عندهم السلفية والأثرية، لا مدخل إليها إلا من بابه! فلو طردهم فإن هذا يكون أقرب شيء شبها عندهم إلى الشلح من الكنيسة عند النصارى! إذا طرد بطريرك الكنيسة القس أو الشماس من الكنيسة فقد طرده من الملة نفسها! فهؤلاء يوشك أن يصبح الأمر عندهم كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

قال الخليفي ردا على من يترك الاحتجاج بأثر مجاهد في المسألة لأن قول تابعي، وقول التابعي على مذهبه ليس بحجة، قال: "هذا أثر تابعي في التفسير أقره عليه غيره وما عارضوه ومجاهد له خصوصية فقد عرض المصحف على ابن

عباس ثلاث مرات حتى قال الثوري (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك) وقالوا بالمتن لأن مجاهداً مختص بالتفسير وحمله عن ابن عباس وقد تكلم بهذا التفسير بين ظهراني الأخيار فلو كان فيه ما يستنكر لتكلموا بل لا مجال في تفسير مجاهد هذا للرأي ومجاهد في التفسير بالذات مراسيله قوية لشدة لزومه لابن عباس" قلت: كل هذا كلام وجيه، وأنا عن نفسي أميل إليه كما سيأتي، ولكن ليس لك أن تطعن على من يخالفك فيه، تدخله فيمن جهمهم السلف!! ولو أنك تعلمت ما كان يجب عليك أن تتعلمه وتضبطه من علوم الشريعة قبل أن تعجل على نفسك وتهجم على كتب السلف كما صنعت، لفرقت بين مراتب النزاع، ولأقمت لقول المخالف وزنه واعتباره، ولما تجاسرت على جعل هذه المسألة مما ينبغي "تقويم المعاصرين" فيها، هكذا، بنزق الفلاسفة كبرهم، نسأل الله السلامة.

وأما ما استدل به الخليفي وابن شمس من أثر عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فلا يسلم لهم به، لأنه لو كان مما اتفق نقدة الحديث على صحته، لكان حجة مانعة لظهور النزاع في الباب بين أهل السنة، لأنه إذن يكون له حكم الرفع بلا نزاع! لكن هؤلاء لا يلتفتون لأمثال تلك الدقائق! وقد جزم ابن تيمية رحمه الله، وهو أعلم بالحديث وعلله من ملء الأرض من أمثال الخليفي وابن

شمس، جزم كما مر نقله عنه، بأن كل ما سوى أثر مجاهد في الباب لا يصح ولا يعتبر! ولا يقولن قائل إن الخلال أعلم منه وقد أخرجه في كتاب السنة، فإن هذا يرد عليه بأن يقال: فكان ماذا؟ ليس دليلا على صحته وحجيته في نفسه، وهو لم يشترط الصحة في جميع ما يروي، ولا يدل على ذلك مجرد حقيقة أن الكتاب اسمه "السنة"! والخلال على جلالة قدره، قد وُجد في طبقته وبعدها من هو أعلم منه بالحديث وعلله! فكل ذلك يجب أن يراعى في هذه القضايا!

ومن اختراعات الخليفي اللوذعية في الاستدلال بالأثر على ما يريد، قوله: "الثاني: أثر عبيد بن عمير. قال الخلال في السنة ٣٢٠ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: ثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى [ص: ٢٥] قَالَ: «ذَكَرَ الدُّنُوَّ حَتَّى يَمَسَّ بَعْضَهُ«

ووجه الدلالة أن داود وهو دون نبينا يقرب هذا القرب فكيف بنبينا ، وعبيد بن عمير تابعي مخضرم كان ابن عمر يحضر مجالسه في الوعظ ويبكي من وعظه اتفقوا على جلالته"

قلت: بصرف النظر عن صحة الأثر، فإن هذا من أفسد صور الاستدلال في الغيبيات، وهو جار فيه على طريقته البدعية في استعمال قياس الأولى وقياس

التمثيل في الكلام في الرجال: فلان قال بكذا، فبدعه السلف، وفلان قال ما هو أفسد من قوله، فمن باب أولى أن يبدع ويفسق!! فحتى في الأمور الغيبية مطلقة التغييب، يعمل الرجل رأسه بالقياس حتى يتوصل من الآثار لما يريد! وقع على أثر فيه أن الله تعالى يقرّب نبيه داود إليه حتى يمس بعضه، فقال رسول الله أرفع قدرا من داود، إذن فمن باب أولى أن يجعل له ما يزيد على مجرد المس!! هذا على أساس أن لدينا قاعدة عقلية مطردة من ضرورة أو استقراء أو غيره، مفادها أنه كلما كان النبي أرفع منزلة عند الله تعالى، كان له من المس والإقعاد على العرش ما هو أكثر؟ سبحان الله! لكأنما نرد على أطفال يتكلمون في العلم والله، ولا حول ولا قوة إلا بالله! هذا اسمه سفسطة يا خليفي، وليس استدلالا! ولو أنك نزلت من عليائك وعرضت مقالك هذا على أحد من أهل العلم ليراجعه لك، لنبهك إلى ذلك ولبين لك! لكن أنت تراك قد استغنيت، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

يقول: "وما أحسن ما قال المعلمي في التنكيل ": وروى ابن جرير في (تفسيره) ج١٥ص٩٢- «عن مجاهد قال: يجلسه معه على عرشه» ثم قال «ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً صلى الله عليه وسلم على عرشه قول غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر..» انتهى.

قلت: لا عجب أن يكون حسنا عندك كل ما يوافقك! لكن هذا تدليس في النقل، إذ يوهم بأن التعليق على الأثر من كلام ابن جرير، وليس كذلك. فابن جرير يقول عقب ذكر من قالوا بأنه الشفاعة ومن قالوا بأنه الإجلاس :

"وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله. وذلك ما حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن داود بن يزيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) سئل عنها، قال: "هِيَ الشَّفاعَةُ""

وهم يحتجون بما جمعه الخلال رحمه الله من شهادات الأئمة بأنهم لم يعرفوا أحدا يرد هذا الأثر إلا الجهمية، يقولون هذا تصريح بالإجماع! ونقول الإجماع على أي شيء؟ على أن كل من يرده فهو جهمي؟! الله المستعان.

وانظر مبلغ التساهل عند هذا الغوي في إطلاق القواعد بالمزاج وعلى المقاس، إذ يقول: "ثم يقال: بأن الآثار لا تعامل معاملة المرفوع بل يحتمل في الآثار رواية الضعيف عن شيخه المباشر إن لم يكن فيها ما يستنكر" قلت: الله أكبر! الآثار؟؟ هكذا؟؟ بهذا الإطلاق؟؟ أي، وبإيجاز، الآثار التي في هذه الكتب التي تسلطت أنا بها عليكم يا أتباعي، لا تجادلوني فيها بالتصحيح والتضعيف والنظر في الأسانيد والعلل وهذه الأمور، لأنها يُحتمل فيها الضعيف ويحتج به،

ما دام الراوي يروي عن شيخه المباشر! نفس الإطلاق العنتري الذي أطلقه ابن شمس فيما مر نقله! ما دمنا قد اخترنا أن نحتج بأثر ما، وكان صاحب الكتاب يرويه عن شيخه، فهو حجة لنا فيما نريد، أيا ما كان! إن قال أجمعوا، فقد أجمعوا، وإن قال هذا حلال، فهو حلال، وإن قال هذا حرام، فهو حرام، ويكون هذا هو الاعتقاد الواجب المصير إليه، ولا يجوز مراجعته من جهة الرواية! طبعا ما لم يكن فيه "ما يستنكر" وهو ما لا تصريف له في سوق القوم إلا أن يكون ما يستنكرونه هم دون غيرهم من أهل الأرض! يقول" :جاء في ترجمة صدقة السمين من تهذيب الكمال: "قال عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه : ما كان من حديثه مرفوعا فهو منكر، وما كان من حديثه مرسلا عن مكحول فهو أسهل ، و هو ضعيف جدا". فتأمل قول أحمد قول (وما كان حديثه مرسلاً عن مكحول فهو أسهل) فهو يدل على التسامح في أمر الآثار،" قلت من الواضح أن مراد الإمام أحمد أننا نتساهل في روايات الراوي الضعيف عن التابعي ما لا نتساهل بمثله في رواياته هو نفسه عن النبي عليه السلام إذا رفع، لأن كلام النبي عليه السلام هو الحجة المتعبد باتباعها، وليس كلام التابعي الموقوف عليه! فسبحان من أخلف على هؤلاء فهومهم فجعلوا اليمين شمالا والشمال يمينا! ثم إنه بالجملة يقول هو ضعيف جدا! أي أنه لا يحتج به في

شيء أصلا! فهل تفهم ما تنقل؟؟ ثم أي تسامح في الاحتجاج بالأثر، بإطلاق هكذا كما يريد، يُفهم من هذا الكلام بربكم وكيف يتقوم ذلك؟؟

تأمل إذ يقول الرجل بعد أن جمع كلام مخالفيه من العلماء:

"وسبب القول بقول الجهمية في هذا الأثر النظر في كتب القوم ومن تأثر بهم كالذهبي الذي يعلم اتفاقات السلف ثم يعد الأثر من أنكر ما قال مجاهد في كتابه الميزان وكذلك ابن عبد البر الذي ادعى أنه مهجور ثم بعدها تناقض ونقل قول أحمد ان العلماء تلقوه بالقبول"

قلت: هذه هي الخلاصة والثمرة المطلوبة يا إخوة! تقرير أن الأكثرين من أهل السنة عبر القرون المتأخرة، قالوا "بقول الجهمية" من حيث لا يشعرون ولا ينتبهون، لأنهم لم يقرؤوا من كتب السلف ما قرأه فريد دهره ووحيد زمانه، ولم يستطيعوا ما استطاعه هو، وإنما تربوا كلهم وشيوخهم من قبلهم في حظيرة الجهمية ومن تأثر بهم كالذهبي، الذي يجبن هذا المجرم عن التصريح بتجهيمه وتكفيره!! خذوا عني أنا ودعكم من كتب الذهبي إن أردتم السلامة من التجهم! تأمل الطعن الحروري في الرجل رحمه الله! يعلم اتفاقات السلف، ثم يعد الأثر من أنكر ما قال مجاهد!! هو إذن منافق كذاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله!! لماذا يا عدو نفسك، يعلم "اتفاقات السلف" وينكرها؟؟ لأنه ينفي

العلو؟؟ لأنه يجري على أصول الجهمية في التجسيم والتشبيه وهذه الأمور؟؟ صرح يا جبان بتجهيم الذهبي وتكفيره واخرج من تلك التقية !!

أكتفي من مقال هذا المجرم بهذا القدر، فوالله لو صنفت مجلدا كبيرا في بيان انحرافه وحقده على أهل العلم، ما استغرقته!

وممن رأيتهم يسلكون في تأويل الآية مسلك الترجيح بدعوى التعارض، الداعية السروري محمد سمير. فالرجل بدأ بتقرير أن الثابت الصحيح عن مجاهد رضي الله عنه هو أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، فجعل ذلك دليلا على عدم صحة الأثر عن مجاهد، على أساس أنهما لا يجتمعان، والثابت الصحيح مقدم على الضعيف عند التعارض، وهذا غير صحيح كما مر، لأن الجمع مقدم على الترجيح ما أمكن، والإعمال مقدم على الإهمال كما هو متقرر. ثم ذكر جمعا من الصحابة يقولون المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، ولم يقولوا هي الإقعاد على العرش، وعلى نفس دعوى التعارض، صير ذلك مرجحا آخر. وأنا أعجب حقا، ما المانع عندك أنت ومن وافقوك من أن يكون المقام المحمود للنبي عليه السلام هو الشفاعة العظمى التي يأذن الله له بها حال إقعاده على العرش تشريفا له وتكريما، وإظهارا لسيادته على ولد آدم، صلى الله عليه وسلم؟؟ لا مانع من ذلك البتة! ولهذا قلنا إنه تفصيل إضافي لا يعارض

الأصل الذي في الصحيحين. فليس لأحد مستمسك في دعوى التعارض. المضحك المبكي أن محمد سمير لما أراد أن يعدد وجوه كونه معارض لحديث الشفاعة، قال في الوجه الأول: "أنه قول لتابعي، إن صح ليس له فيه سلف من الصحابة، بحيث نقول إن له حكم الرفع للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو لا يعدو مجرد اجتهاد، مع أن القاعدة المتعارف عليها عند أهل العلم أنه لا اجتهاد مع النص، فطالما إن فيه نص صحيح صريح من النبي صلى الله عليه وسلم يفسر المقام المحمود بالشفاعة، إذن ما ينفعش إني أجتهد وأقول بخلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم "!

قلت هذا الكلام والله آية على ما يعاني منه المسلمون اليوم من هاتين الطائفتين جميعا، المتسلطتين على قنوات الدعوة على اليوتيوب الآن، الحدادية والسرورية! كلهم جهال، على تفاوت في الجهل، يهرش بعضهم في بعض، وينعق بعضهم على بعض، وطلبة العلم والعلماء من ذلك اللعب والسخف براء! أنت الآن المفترض أنك في مقام تبيين وجوه التعارض بين الحديث والأثر محل البحث، فالمتصور أن يكون الكلام في نقد المتن لا السند! أليس هذا هو مقصود أهل العلم بقولهم إن هذه نصوص ظاهرها التعارض؟ المتن؟؟ بلى! هكذا تعلمنا! فما هو التعارض الذي يزعمه إذن؟ أنه اجتهاد تابعي بما

يعارض النص، ولا اجتهاد مع النص! يا رجل أنت تؤسس دعوى التعارض الآن، وتستدل لها، أم تؤسس عليها أن الحديث هو المقدم وهو المرجح على الأثر؟؟ سبحان الله! ثم بأي قاعدة من قواعد الشريعة استقر لديك أن الأثر إن صح فإنه يكون اجتهادا لمجاهد؟؟ هل مثل هذا يقال بالاجتهاد والرأي أصلا يا رجل؟؟ لو أنك قلت كما قاله بعض العلماء إن مثل هذا لا يحتج به مرسلا، لأنه خبر غيبي محض، وإنما يجب أن يوصل حتى تقوم به الحجة، ولا وصل له، لكان كلاما علميا معتبرا! لكن أنت لست أحسن حالا، علميا، ممن ترد عليهم للأسف .

يقول الإقعاد هذا أمر غيبي، والغيبيات لابد بإجماع الأمة من الاستدلال لها بنص صريح! قلت: ليس هذا محلا للنزاع أصلا، وإنما النزاع فيما إذا كان الأثر محل البحث له حكم النص الصريح في المسألة أم لا. فبعض العلماء يصححونه عن مجاهد ويحتجون به، وبعضهم يحتج بقبول السلف له، وبعضهم لا يفع به رأسا، وهذا ما غلب على المتأخرين من أهل الحديث، بلا نكير ولا تشنيع.

قال ابن عبد البر في الاستذكار: "تأويل قول الله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) المقام المحمود هو شفاعته في المذنبين من أمته ولا أعلم في هذا مخالفا إلا شيئاً رويته عن مجاهد ذكرته في التمهيد وقد روي عنه خلافه على ما عليه الجماعة فصار إجماعاً منهم والحمد لله. " قلت: ولا يفهم من هذا

أن التأويل بالشفاعة ينافي التأويل بالإجلاس، ولا أن التأويل بالإجلاس يعارض التأويل بالشفاعة كما مر، وإنما المقصود أن الجماعة قد مالت إلى الاكتفاء بالتأويل بالشفاعة العظمى دون الإجلاس.

وقال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير عن ابن عبد البر أنه قال: "مجاهد وإن كان أحد أئمة التأويل إلا أن له قولين مهجورين عند أهل العلم، أحدهما هذا (يعني هذا الأثر)." فانظر كيف أنه أثبت نسبة الأثر إليه، وأثبت لمجاهد الإمامة في التأويل، ومع هذا قال إنه وغيره من أهل العلم قد هجروه ولم يحتجوا به. فلماذا لم يحتج به؟ لأنه يوهم بالتجسيم؟ أبدا! لا دليل على هذا. ولكن لأنه لا يحتج بمراسيل التابعين، ولا ينزلها منزلة المرفوع، حتى تنهض لديه القرائن الدالة على رفعه، وهو لم يثبت لديه منها شيء! وهذا ما سلكه فريق ممن لم يثبتوا الأثر من أهل السنة. ولا عبرة بقول من يقول إنكم تحتجون بكلام مجاهد في التأويل دون أن تتكلفوا النظر في إسناده، فلماذا اشترطتموه هنا؟ فجوابه أن مجاهد يقرر فيه كلاما لا يؤتى به إلا من طريق السمع، فاحتاج إلى أن يثبت ذلك. ولا عبرة لقولهم إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، وهذا يدل على أنه قد سمعه من ابن عباس! فلو كان قد سمعه منه فعلا، أو عرضه عليه فيما عرض، لحدّث به عنه، ولانتشر الأثر منسوبا

إلى ابن عباس لا إلى مجاهد. فإن التابعين وتلامذتهم كانوا أحرص الناس على تعلية سندهم بما معهم من الأخبار، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. ثم إنه ليس من طريقة أهل العلم أن يقال إنه كان أعرف الناس بتأويل ابن عباس، ومن ثم ينسب كلامه في التأويل إلى ابن عباس! بل لم يزل أهل العلم، على الرغم من إثباتهم تلك العرضات الثلاث، ينسبون كلام مجاهد في التأويل لمجاهد، وكلام ابن عباس لابن عباس، ولا ينسبون كلام مجاهد لابن عباس!! فقولك يا ابن شمس إن مجاهد من أخص تلاميذ ابن عباس، لا ينفعك بشيء! وقبل أن تقول الشوكاني لا يُحتج بخلافه في العقيدة، لأن عنده تأويلات وتفويضات وهو من أصول زيدية وفيه كذا وكذا، فقوله بهجر أهل العلم لا يلزم أن يكون المشار إليه به هم أهل الحديث، فإننا نقول لك: بصرف النظر عن حقيقة حاله، رحمه الله، فلسنا نحتج بحكايته الإجماع هنا ولا نسلم بها أصلا! وإنما أردنا أن نبين أنه وإن أثبت الأثر عن مجاهد، وأثبت له الإمامة في التأويل، إلا أنه هجره ولم يحتج به.

وممن لم يعتمده في تفسيره أيضا ولم يشر إليه، الحافظ ابن كثير رحمه الله، ومن المعاصرين الإمام السعدي رحمه الله .

وأما قول شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى: " إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَقَدْ حَدَثَ الْعُلَمَاءُ الْمَرْضِيُّونَ وَأَوْلِيَاؤُهُ الْمَقْبُولُونَ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْلِسُهُ رَبُّهُ عَلَى الْعَرْشِ مَعَهُ. رَوَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ؛ فِي تَفْسِيرِ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وَذَكَرَ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ أُخْرَى مَرْفُوعَةٍ وَغَيْرِ مَرْفُوعَةٍ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَهَذَا لَيْسَ مُنَاقِضًا لِمَا اسْتَفَاضَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ مِنْ أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ هُوَ الشَّفَاعَةُ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ مِنْ جَمِيعِ مَنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ وَيَدَّعِيه. لَا يَقُولُ إنَّ إجْلَاسَهُ عَلَى الْعَرْشِ مُنْكَرً – وَإِنَّمَا أَنْكَرَهُ بَعْضُ الْجَهْمِيَّة وَلَا ذَكَرَهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مُنْكَرٌ" فليس صريحا في أن مذهب شيخ الإسلام تصحيحه وإثبات الإجلاس على العرش، وإنما ذكر أن العلماء الأقدمين كانوا يروون ذلك الأثر، ويجهمون من ينكره من جهة المتن، وهذا لا نزاع فيه. والسياق كان في ذكر ما روي في فضل الصالحين من المؤمنين على الملائكة، وليس في تحرير مذهبه في الأثر هل يصححه أم لا، رحمه الله تعالى. والاعتضاد بمجرد ورود الأثر، مع ذكر من صححه، مسلك مطروق عند العلماء. فمثل هذا الجمع قد يكفي فيه إيراد الرواية بسندها، دون اشتغال بتصحيحها. فإنه لو لم يجز أن يكون لمخلوق بشري هذا الفضل العظيم على الملائكة وغيرهم من خلق الله تعالى (أن الله تعالى يجلسه على عرشه) لما حدث به العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون، ولاتفقوا على رده من هذه

الجهة. وإن كان القول بأنه رحمه الله كان يثبت الإجلاس على العرش تأسيسا على مطلق قبول السلف له، ليس بالبعيد، لكن القصد أن ذلك لا يثبت ثبوتا تطمئن له النفس من مثل هذا الموضع .

ولهذا كله، كان في علمائنا المعاصرين من يضعف الأثر، ولا يعتضد له بشيء، وكان منهم من يتوقفون في تصحيحه، سئل الإمام العثيمين "هل من المقام المحمود ما ذكره بعض العلماء من أن الله سبحانه وتعالى يُجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش؟ فقال: هذا إن صح فهو من المقام المحمود ولا شك."، قلت فهو، وهو من هو، لم يكن جازما بصحته، على ما وقف عليه ولابد من كتب الأثر التي وقف عليها هؤلاء !

ومن عجائب محمد سمير فيما يسميه ردا أنه يقول إنه لا يصح الاحتجاج بالإجماع السكوتي في هذه المسألة لأن الآمدي نص في الإحكام على أن الإجماع السكوتي إنما يحتج به في الأحكام دون العقائد! فهل يخفى عليك يا رجل أن الآمدي لا يحتج في العقائد أصلا إلا بالمتواتر؟؟ سبحان الله! نفس طريقة من يرد عليهم من الأقزام! نفتح الكتب ونخرج ما يعجبنا ويصلح أن يكون مستندا نستند إليه فيما نريد، وإن كان من أغرب الغرائب! بل الإجماع السكوتي حجة في الفروع والأصول على السواء، لأن المسائل التي تتوافر

الدواعي لنقلها والعناية بها وتقرير الحق فيها، تتعاظم الدواعي أيضا لتخطئة المخطئ فيها إذا ظهر خطؤه، وتتوافر الهمم على نقل ذلك الإنكار إن ثبت! فإن لم ينقل، احتج بالسكوت، سواء في العمليات أو العلميات ولا فرق!

ويقول إن دعوى الإجماع ساقطة، لأن هذه من مسائل الاعتقاد، ومسائل الاعتقاد لا يثبت فيها الإجماع إلا بنص من الكتاب أو من السنة، ويقال له ماذا تقصد بمسائل الاعتقاد؟ إن كان المقصود أصول الاعتقاد والمسائل الكبرى التي يبدع من يخالف فيها ويفسق، دع عنك أن يكفر، فنعم صحيح! وإن كنت تقصد المسائل السمعية الخبرية التي هي دون ذلك، فلا يلزم ولا يشترط! وهذه من هذا النوع. وكون هؤلاء السفهاء الذين ترد عليهم قد جعلوا مطلق النفي فيها بدعة مفسقة أو مكفرة، لا يصيرها كذلك في نفس الأمر! فأنت يا رجل جاهل ترد على جهال، وتسيء إلى من تنتصر لهم من العلماء، كما أنهم يسيئون إلى السلف الذي يعتزون إليه، سواء بسواء!

والذي أميل إليه في هذه المسألة، والله أعلم بالصواب، إثبات الإجلاس على العرش مع الشفاعة العظمى في معنى المقام المحمود، من باب التفصيل الإضافي كما مر، فإن مجاهدا وإن كان أرسل كلامه ولم يسنده إلى أحد من الصحابة، وإن كانت أسانيده لا تخلو من مقال، إلا أن تلقي الأولين له بالقبول

إجمالا، يُشعر بأن هذا القبول هو على معنى قبول الاحتجاج به في التأويل، وليس فقط على معنى قبول الرواية والتحديث بها دون نكير، وهو الأظهر، ولا يُعترض عليه بأنه يكون إجماعا بلا مستند نصي، كما ادعاه محمد سمير، فالذي يصحح الأثر ويحتج به، يقول إنه لابد أنه قد كان له مستند صحيح مرفوع عن بعض الصحابة، كابن عباس، فيما اطلع عليه الأولون، لكن لم يصل إلينا، وهو ما لأجله استفاضت الرواية بقبول السلف للأثر على الاعتبارين المذكورين جميعا. ولكن قد يشكل على ذلك ما بينا، فيما مر، أن عامة المتأخرين والمعاصرين من أهل السنة قد مالوا إليه، وهو التضعيف والهجر وعدم الاحتجاج، حتى زعم ابن عبد البر الإجماع على إهماله كما تقدم نقله. فإن شيوع هذا الموقف في هؤلاء النبلاء من قرون أهل السنة يدل على أن له سببا علميا دقيقا هم به ما بين الأجر والأجرين، وليس أنه لوثة جهمية تحتاج إلى "تقويم"، أو جهلا عاما بما في كتب الأثر، كما ذكره الغوي الخليفي! فالمسألة ينبغي أن تعامل بصدر رحب، وأن يُجتنب فيها ضيق العطن، لأنها ليست بالجلاء والوضوح والسهولة التي يدعيها هؤلاء الأقزام، وليسوا هم بأحرص على اعتقاد السلف من قرون أتباعهم من الأكابر! فميلهم إلى ما مالوا إليه واستظهروه في المسألة العلمية القديمة، ليس بالأمر الذي يستهان به! فليس لأحد أن ينكر على

المخالف هنا، دع عنك أن يجهمه، إلا أن تكون المخالفة بادعاء نكارة المتن واقتضائه التجسيم، فإن هذا محض تجهم، والله الهادي للرشاد.

انتهى.

أبو الفداء ابن مسعود

غفر الله له.